

قصة (أرما)

بقلم الكاتبة "شيماء سعيد"

نجلس أنا وأمي أمام مائدة الطعام، لا أحد يأكل شيء فكل منّا يشغل عقله بذلك الموضوع فهو قد تجاوز كل الحدود، أين أنتِ آسيا أين أنتِ أختي؟ لقد اختفيتي بطريقة عجيبة لم نلقى منك أثر يدلنا إليك.

وشردت في كلامها فعندما كنا صغار أنا وآسيا أختي الصغيرة ذات السبع سنوات تذكرت عندما كانت كل ليلة تأتي إلى حجرتي وتقول لي أحداث غريبة تحدث معها فكانت أنهرها وأقول لها: كفاكِ هراء آسيا كفاكِ لقد مللت من أحاديثك الخرقاء، فكيف أن يكون لديك صديق خيالي، وكيف لا أحد يستطيع رؤيته غيرك.

وكنت أقول لها: آسيا ارحلي عن غرفتي أريد أن أدرس فنحن لدينا أشغال غداً.

فكانت تقول لي: صديقي مروج أنا لا أكذب ولا أقول هراءً فأنا لدي صديقي فهو يأتي كل ليلة؛ ليلعب معي ويحدثني عن نفسه كثيراً، هو لا يتركني إلا عندما عيني تذهب في النوم، اسمعيني أختي للنهاية فهو قد وعدني أن يأخذني معه عندما أكبر سوف يأخذني إلى عالمه.

فقلت لها: اذهبي آسيا اذهبي فأنا لن أصدقكِ، كيف يكون لديك رفيق مثل هذا؟! ولما يوجد لديك أنتِ فقط ولما ليس لدي.

فذهبت نحوي وقالت بهمس: أنتِ لديكِ رفيق مروج وليس أي رفيق، ولكنه لا يتحدث معكِ فهو بجوارك دائماً، ولكن يمنع نفسه من الظهور إليك فهو أخو أدم الأكبر ريان فأدم قد حكى كل ما يخص عائلته.

فقلت لها سريعًا: لا فأنتِ مريضة آسيا، اذهبي إلى حجرتكِ الآن؛ لكي لا أستغيث بأمي، وأقول لها عن كل شيء.

فبكت آسيا: سأرحل مروج، ولكن لا تخبريها فأدم سوف يحزن فأنا قد وعدته ألا أخبر أحدًا.

ثم هرولت من حجرتي ذهبت في خيالي بشأن كل ما قالته لي وفي من يراقبني، فتنهدت بصوت عالي وقلت بصوت مسموع: لا.. لا مستحيل أن يحدث ذلك، من هذا ريان؟ فهو من وحي خيالها الواسع فهي تمتلك مخيلة جبارة، إلى أن سمعت صوت اهتزاز المزهرية التي بجواري، فقلت سريعًا: لا عليك ريان فأنا لست غاضبة منك فتوقفت المزهرية عن الاهتزاز، فتعجبت من ذلك الموقف ولكن هذا كله هراء فلن يشغلني شيء وعدت إلى مذاكرتي من جديد.

أفقت من غفلي على صوت أمي المنهارة من كثرة البكاء الذي يعمل على إتلاف نياط قلبي وهي تقول: أريد آسيا.

أين ذهبت تلك الفتاة؟ لا يوجد لها أثر! فوقفت من مقعدي سريعًا واحتضنت والدتي، فهي كل ما أملك هي وآسيا، فوالدي قد توفي لأسباب غامضة لا يعلمها أحد سوى والدتي وعندما أتحدث عن ذلك تمنعني بقوة، أفقت من غفلي على صوت بكاء أمي فقلت لها بهمس: هي بخير أمي، سوف تكون بخير فأبنتك قوية لا تخافي، هيا تناولي الطعام كي تأخذي دواءك؛ لكي تستطيعي الوقوف على قدميك، هيا أمي تناولي، أحضرت لها الدواء ثم أسندتها للوقوف وأخذتها إلى غرفتها؛ لكي تستريح، وذهبت إلى غرفة أختي أبحث عن سبب اختفائها المثير

للغرابية، سرت إلى غرفتها بخطوات مليئة بالخوف فقد تذكرت عندما كانت تقول لي أن أدم يكره التطفل علينا، بخوف أمسكت مقبض الباب بجسد يهتز من كثرة التوتر وسرت بخطوات بطيئة، لا يوجد بالغرفة ما يثير الشكوك، فعدت إلى طبيعتي وقررت البدء بالبحث في الجزء المفضل لها وهو مكتبها الوردي، بحثت.. وبحثت.. ولم أجد شيء، فجلست على طرف السرير؛ لكي أستريح فلمحت مذكراتها الواقعة تحت قدمي فأخذتها سريعاً، وحمدت الله على أن أعرف شيء عنها فقرأت بها وتعمقت في قرائتها باندهاش من هول تلك الأحداث، أحداث تعمل على تخبط العقل وتوقف القلب، فتنفست بصعوبة ممّا قرأته فقد كان كل شيء يتحدث عن عالم آخر وهو عالم الظلام، وكيف يعيش فيه مجموعة من الجن على هيئة بشر ويمتلكون عادات وتقاليد مختلفة عنّا تماماً، يملكهم ملك ولكنهم لا يعلمون أين هو، مختفي من مئات السنوات، أعمارهم غير أعمارنا، الثانية في ذلك الكوكب تعادل أربعة أشهرٍ في عالمنا هذا وعلمت أيضاً مما أذهلني أن الملك الحالي هو ريان الإبن الأكبر لذلك الملك ويسير على نهجه كثير من القبائل فهم كثيرون ونائبه أخاه الأصغر أدم، وهو يعشق آسيا بجنون وسوف يتزوج منها عندما تصبح في السن القانوني فزعت بشدة؛ لأن آسيا قد أتمت الثامن عشر الشهر الماضي ولكن ما أثار دهشتي أكثر وأثارَ القشعريرة في أنحاء جسدي أكثر، عندما علمت أنني سوف أصبح زوجة الابن الأكبر للملك لكي يستطيع حماية عائلتي فأنا وأختي سر ذلك اللغز فهم يملكون قبائل كثيرة لما لا يتزوجون من عالمهم؟! ويتركون وشأننا أنا وأسرّي فهم لديهم قدرات على التخفي بشكل مذهل وأعينهم تتحول لدرجات مثل اللون الأحمر عند الغضب، والأزرق عند الحب، والأخضر

عند الأمان وهذه العادة التي تظهر بها أعينهم، ولكن لن أوافق على ذلك أيعقل هذا! لا..لا لن أتزوج من ذلك المعتوة المتخفي، انتفضت على ذلك الصوت الذي أربعني، وهو يردد في أذني وهو يقول: لا زوجتي أنتِ ملكي في ذلك العالم وأيضا في عالمي فلا تحلمي أن أترككِ، فأنا قد إنتظرت عدة من سنوات على أن أخذكِ معي في مملكتي كنتِ تكبرين يوماً عن يوم وأنا كنت أحترق شوقاً للظهور أمامكِ، عندما ولدتِ قد كتبتِ على اسمي يا مروج، لن أترككِ فأنتِ ملكي ومعروف عني أنني لم أترك شيئاً يخصني أبداً.

كان ذلك الشخص يتحدث بهمس، وتلك الأنفاس الحارقة التي تضرب رقبتني من الخلف، انتشر الاحمرار على وجنتي من كثرة الخجل والخوف ولكن عندما انتهى من التحدث صرخت بفرع، ووقفت سريعاً، و درت حولي عدة مرات وظللت أردد: من أنت؟ اظهر، أين أنت؟ وأين أختي؟ لما لا تتحدث؟!

إلى أن شعرت بدوران بسيط من كثرة دوراني في الحجرة للبحث عنه حتى وقعت وها قد ظهر وحاوط جسدي بيده الفلازية قبل أن ألمس أرضية الغرفة وقال: أنا هنا مروج أنا هنا يا ملاكي، فنظرت إليه بصدمة واهتز جسدي مع بروز عيني للأمام قليلاً وقلت بصوت هامس قبل أن أفقد الوعي: هل أنا أحلم؟! ما كتلة الجمال تلك هل أنت ملاك؟!

بعد مرور يوم كامل وأسدل الليل ستاره الأسود المرصع بالنجوم؛ ليضيء عتمة قلوبنا.. استيقظت بفرع، وأنا أقول: ما هذا؟ أين أنا؟ ما تلك الغرفة التي أقل ما يقال عليها جميلة؟! ما تلك الملابس؟ من قام بتغييرها؟!

شرعت في البكاء من الخوف إلى أن وجدت من يحتضنني من الخلف  
ما بها زوجتي اللطيفة تبكي، فشرعت في البكاء بقوة أكثر: من أنت؟  
وأي أنا؟ ومن قام بتغيير ملابسني؟ والأهم أين أمي؟!

فزاد في احتضاني وقال: لا تقلقي ملاكي فوالدتك في الغرفة المجاورة،  
أنتِ في عالمي عالم الظلام، ومن قام بتغيير ملابسك أختك آسيا من قامت  
بذلك..فانتفضت واقفة بسعادة ناسية أنه أمامي بشكله المختفي،  
وقلت بسعادة وأنا أمسح دموعي المتساقطة: هل تقول الحقيقة؟ أين  
أختي؟! وصرت أردد باسمها في كل أنحاء الغرفة الكبيرة، إلى أن وقفت  
فجأة، وأنا أشاهد كيف ظهر أمامي ذلك الشخص من الخفاء إلى العلن،  
صدمت من كثرة جماله فكان يمتلك شكلاً يضح بالجمال، عيونه تمتلك  
زرقة البحر، غرقت بعروقها إلى أن قام بالتقدم نحوي بسرعة مخيفة  
ووقف أمامي مباشرةً وقال: ما بها زوجتي لا تتحدث؟!

فتحدثت بتلعثم: مممم..مممنن اااا.. اااااا.. اننت، للست..  
ززووحيي..

فقال بهمس وهو يلمس بيديه على وجنتي: بل أنا ريان زوجك ملك  
ذلك الكوكب، فأنتِ زوجتي وابنة عمي الغالية.. ابتعدت عنه بصدمة  
وقلت إليه بدهشة مصحوبة بفرع: ابنة عمك! هل تعرف أبي؟! هل  
تعلم أين هو؟ هو مختفي بحدث غامض ولم يعلم أحد منّا عنه شي.

فتحدث ريان وهو يتقرب منها ثانية: نعم أعرف أين هو، فهو لن يؤدي  
أي واحدة منكما إلا بزواجي بكِ هنا أمام الجميع على ذلك الكوكب  
فجدك قد أمر بذلك.

تحدثت مروج بدهشة: جدي، وزواج ومنك أنت وأختي، أمي، أبي، كل ذلك أنا لا أفقه أي شيءٍ مما تقوله.

فتقدم ريان إليها، وأخذَ بيدها وأجلسها على قدميه على الأريكة وقال لها: سوف أحكي لكِ كل شيءٍ.

ففزعت مروج من ذلك الموقف وكادت أن تقف فأحكم على خصرها بإحكام وقال لها: لن تتحركي من ذلك المكان، فهو مكانك بعد اليوم وهو بين أحضانِي ملاكي.

فقالت مروج بخجل محبب إلى قلبه: هيا احكي كل شيءٍ ولا تخفي عني أي شيءٍ.

قال لها: أنصتي ملاكي.. في قديم الزمن كان جدي يمتلك اثنين من الأبناء كان الأول مسالم وهادئ بطبعه، وهو أبي عاصم الوريث الأول لهذه المملكة والابن الآخر الذي كان يثير المشاكل وهو شريف منيب الابن الأصغر، قال جدي لكليهما أن يتزوجوا من ملكات هذه المملكة ولا أحد يدخل عالم البشر ويثير المشاكل بها فإن علم هو بذلك سوف يقوم بنفيه وعدم منحه أي حكم ويسلب منه جميع القوة التي يمتلكها، في يوم من الأيام ذهب أباكِ إلى عالم البشر، ووقع في حب بشرية، وأثار المشاكل ووقع في حقه كثير من الآثام التي قام بفعلها غير أنه قام بإيذاء أطفاله وزوجته، ولكن قد علم أخاه الأكبر بذلك وقام بإخبار والده، مما أدّى إلى قتل والدكِ لأبي، و قبل ذلك كان جدك قد أقام تعويذة على أن لا يعود إلى عالم البشر، وقام بكتابة بنود على أن أصبح زوجكِ وأدم أخي يتزوج بأختكِ آسيا لذلك كنتما تحت عينيا أنا وأخي، نحرص على

حمايتكما ولكن جاء أبكٍ وقام بعمل مؤامرة وقام بقتل نائب جدكِ وكان يريد قتل أباه، وعندما علم جدي بذلك قام بسحب كل قواه ونفاه إلى جزيرة الغيلان على ألا يعود مرة ثانية ويؤذي أحد و جاء موعد الزواج الفعلي، قام جدكِ بإحضار آسيا للتعرف عليها ولكي يزوجها لأدم، وها أنا أحضرتكِ ملاكي؛ لكي نتمم مراسم زواجنا وأبقىكِ خالدة معي للأبد.

فتساقطت دموعها بغزارة على وجنتيها الحمراء مع ارتعاش شفاتها، وهي تتحدث مما أدى إلى سحران أيان بجمالها فهو قد عشقها من صغرها، فقالت بتلعثم وشهقات متتالية: سوف يقوم أبي بإيذاء أُمي وآسيا.

فقام بأخذها بين أحضانه وقال لها: لا تبكي ملاكي فأنا هنا، هو لن يستطيع التقرب منكم ولكن بداخله يوجد نيران، قد علمت الأمس أنه يوجد من قام بتهريبه ومساعدته على الإنتقام لذلك أمر جدي بإحضاركِ أنتِ و والدتكِ.

نظر إليها فوجدها نائمة بين أحضانه بهدوء فوضعها على السرير وقام بتغطيتها، ونزل يتحدث مع جده عن كل ما حدث فقال جده بهدوء رغم الإعصار الذي بداخله: لابد في أسرع وقت علينا إتمام الزفاف حتى لا يأخذ واحدة من بناته ليقدمها قربان للآلهة؛ حتى يستطيع استرجاع قواه وأنا واثق من أنه يفكر في هذا، شهقت الأم الجالسة وقالت ببكاء: لا.. لا.. لا تجعله يأخذ بنايتي من بين أحضاني أرجوكِ أُمي، فأنا قد تعبت كثيراً، لا تجعل أي واحدة منهما تتعذب فهما لا يستطيعان التحمل، وقامت بأخذ آسيا بين أحضانها كانت جالسة تبكي عن ما عرفته من

أسرار وخبايا تخص عائلتها فهي نصف بشرية والنصف الآخر جنية ولكنها لا تمتلك أي من تلك القوى، فقال الجد: الزفاف الأسبوع القادم فعلى كلٍ منهما أن تتجهز لذلك، فقال آدم بضحكةٍ: لا جدي أريده غدًا فأنا لا أطيق الابتعاد عن آسيا ولو للحظة واحدة.

فخجلت آسيا وصعدت إلى حجرتها فقال الجد لريان: اذهب لزوجتك فهي تحتاجك الآن فهي الوحيدة التي لم تكن تعلم أي شيء، وكان الأمر صعبًا عليها. فأنصت إليه جيدًا وصعد إلى حجرتها فوجدها جالسة وعلامات الخوف في عينيها، فذهبت إليها وأخذتها بين أحضاني وقلت لها: ملاكي خائفة.

فتشبثت بي بقوة، وقالت : أنا خائفة من كل شيء لا تتركني.

قال: وهل يترك العاشق معشوقه؟

فنظرت إليه بعيونها الصفراء كالشمس، وقالت: لما لم تظهر مثلما آدم كان يظهر لآسيا، قال لها وهو يتعمق في النظر إليها: لأنني كنت خائف عليكِ فأنتِ ضعيفة ولا تتحملى الصدمات ولكن كنت بجوارك كل يوم، وكنتِ تنامين بين أحضاني كل ليلة.

فقال له: لذلك رائحتك ليست غريبة علي.

فتبسم لها، وقال: زفافنا الأسبوع القادم.

ها قد مر الأسبوع سريعًا.. وكلا العروستان تستعد للزفاف إلى أن جاءت اللحظة الحاسمة وأتى أبوهما متنكرًا، ودخل بحجرة مروج واختطفها..

بعد ساعات من البحث عنها لم يجدها، كأنه شق نصفين على أنه لم يحافظ على ملاكه، فوقف في باحة القصر يسير ذهابًا وإيابًا وأمامه زوجة عمه، وبناتها يبكيان بلوعة على فقدان مروج إلى أن تذكر شيئًا ثم قرر أن يتحرك من مكانه، فشعر بألم ينهش في قلبه، فصرخ بصوت عالٍ أفزع كل من على تلك المجرة، وقال لقد أذاها لقد أحسست بها، فهو يقوم بـ إيذائها إلى أن جاء آدم سريعًا وقال: لقد وجدتها فقدتبتها عن طريق ذلك الخاتم التي تحمله مروج بيدها فهو يحتوي على أجهزة تتبع قد أمر جدي بزرعها في كل خواتم الخطوبة، التي يلبسها كل منهم.

وثب ريان واقفًا وذهب سريعًا مع جيشه وقد عزم على قتله بيده، فهو قد أخاف ملاكه اللطيف، ذهب إلى تلك المقبرة التي كانت مملوءة بجثث ننتة، وأصوات خفافيش تصارع بعضها البعض، ودماء جافة فوجدها مربوطة وسط النيران وهي تنادي بإسمه ونظر بجانبها فوجد عمه يقرأ تلك الطلاسم الموجودة بذلك الكتاب، فهجم عليه بكل ما أوتي من قوة يمتلكها وأسقطه أرضًا وقام بنزع روحه عن جسده، ثم دخل وسط تلك النيران وقام بحملها، كانت فاقدة لوعيها، أعادها سالمة غائمة إلى القصر، وبعد مرور الأيام قد تعافت وأتم الزفاف وقد عاش كل من الأخوين حياة هنيئة.. بعد مرور سبع سنوات كانت مروج تصرخ بصوتًا عاليًا على ابنها الصغير صقر وتقول له: أين أنت؟! لا تختفي ثانية لا تستعمل تلك المهارات سوف أعاقبك.

فرد بطفولية: أنا سوف أذهب للعب مع ابنة خالتي آسيا، أنا سوف أتزوجها عندما أكبر وذهب مهرولاً، أتي من خلفها ريان وقال لها: ملاكي غاضبة بذلك القدر.

فقالت له: هو أصبح يملك كل صفاتك الخرقاء.

قام بلمس وجنتيها بحنان وقال: هناك من يود العقاب وأخذها بين ذراعيه.

قالت: أحبك ريان.

فرد قائلاً: وأنا أحبك ملاكي.

\*\*\*